ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

تقييم أوّلي لاتفاق وقف النار في غزة.. نصر نتنياهو لم يتحقق..!

حسن حردان

بعدما تمّ الاتفاق على وقف إطلاق النار في قطاع غزة وتبادل الأسرى، بين المقاومة الفلسطينية وكيان الاحتلال الإسرائيلي، وإدخال المساعدات الى غزة، في المرحلة الأولى في إطار خطة الرئيس الأميركي دونالد ترامب كيف يمكن تقييم هذا الاتفاق، ماذا حقق فلسطينياً؟ وما الذي حققه "إسرائيلياً"؟ وما الذي لم يحققه، خاصة لناحية ما كان يسمّيه رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو بـ "النصر المطلق"، ولا سيما لناحية أهداف الحرب المتمثلة بالقضاء على المقاومة، وتدمير أنفاقها وقدراتها، وإطلاق الأسرى بالقوة، وتغيير الواقع في قطاع غزة.

من الواضح أنه تمّ الاتفاق على المرحلة الأولى من خطة الرئيس دونالد ترامب لوقف إطلاق النار في غزة وتبادل الأسرى ودخول المساعدات، وتشمل هذه المرحلة وقفاً لإطلاق النار، والإفراج عن جميع الأسرى الإسرائيليين الأحياء (وتبادل رفات البعض)، مقابل إطلاق سراح أسرى فلسطينيين، وانسحاب جزئي لقوات الاحتلال الإسرائيلي، وإدخال المساعدات.

يمكن تقييم نتائج هذه المرحلة من الجانبين الفلسطيني و"الإسرائيلي" كما يلي:

أولاً، على الصعيد الفلسطيني، حقق الاتفاق ما يلي:

من المنظور الفلسطيني، تُعتبر هذه المرحلة تحقيقاً لبعض المطالب الأساسية، وهي:

١ ـ وقف إطلاق النار: تحقق وقف حرب الإبادة النازية الإسرائيلية ضدّ الشعب الفلسطيني، مما يتيح للفلسطينيين في غزة استراحة ضرورية وإمكانية تقييم الأضرار وإعادة ترتيب الأوضاع الإنسانية الأولية.

٢ ـ تبادل الأسرى: سيتمّ الإفراج عن عدد كبير من الأسرى الفلسطينيين، بمن فيهم محكومون بأحكام عالية، وهو انتصار معنوي ومطلب شعبي مركزي.. وإنجاز للمقاومة التي

أكدت من اليوم الأول للحرب أنّ الأسرى لن يُفرج عنهم إلا عبر صفقة تبادل.

٣ ـ إدخال المساعدات: ضمان دخول كميات كبيرة من المساعدات الإنسانية والإغاثية والوقود، وهو أمر حيوي لتخفيف الكارثة الإنسانية في القطاع.

٤ ـ الانسحاب الجزئي لقوات الاحتلال الإسرائيلية: انسحاب القوات من بعض المناطق أو إلى خطوط متفق عليها ضمن المرحلة الأولى، مما يقلل من التواجد العسكري الإسرائيلي المباشر.

٥ ـ الاعتراف بدور المقاومة: الوصول إلى اتفاق مع المقاومة بشكل مباشر أو غير مباشر يمثل اعترافاً ضمنياً بدورها في التفاوض على شروط إنهاء الحرب.. وإقرار بالفشل في القضاء عليها.

ثانياً، على الصعيد "الإسرائيلي"، حقق الاتفاق الآتي:

١ ـ إطلاق سراح الأسرى: الإنجاز الأهمّ هو تأمين إطلاق سراح جميع الأسرى الإسرائيليين الأحياء لدى المقاومة في غزة. هذا الهدف كان على رأس أولويات الحكومة الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي.

٢ ـ تخفيف الضغط الداخلي والدولي: الاتفاق يمنح حكومة نتنياهو متنفساً سياسياً من الضغوط الداخلية الهائلة من عائلات الأسرى، ومن الضغوط الدولية المطالبة بوقف الحرب على غزة.

ثالثاً، ما الذي لم يحققه الاتفاق "إسرائيلياً":

إنّ أهداف الحرب المعلنة من قبل نتنياهو، والتي سماها "النصر المطلق"، لم تتحقق في هذه المرحلة الأولية، وهي:

*القضاء على المقاومة (وخاصة حركة حماس): لم يتمّ تدمير أو القضاء على قدرات المقاومة التي لم تتوقف ولا لحظة عن شنّ الهجمات ضدّ قوات الاحتلال وإيقاع الخسائر الفادحة في صفوفها، فالاتفاق تمّ التفاوض عليه مع المقاومة، وواحدة من نقاط الخطة تدعو لنزع السلاح التدريجي في المراحل اللاحقة، مما يدلّ على أنّ هذا الهدف لم يُنجز عسكرياً.. وهو موضع اعتراض من قبل المقاومة التي تربطه بتحقيق الحقوق الوطنية، لا سيما إقامة الدولة الفلسطينية، وعودة اللاجئين.. ولهذا سيبقى موضع سجال وخلاف.

تدمير الأنفاق والقدرات العسكرية: لم يتمّ تدمير معظم الأنفاق، والاتفاق لا يضمن تدمير القدرات العسكرية المتبقية للمقاومة.

إطلاق الأسرى بالقوة: أُطلق سراح الأسرى عبر اتفاق تفاوضي يتضمّن إطلاق سراح أسرى فلسطينيين، وليس عبر عملية عسكرية "بالقوة"، مما يتناقض مع الوعود السابقة بتحقيق "النصر المطلق" الذي يعيدهم دون ثمن كبير.

تغيير الواقع في قطاع غزة (اليوم التالي): لم يتم بعد حسم ملف "اليوم التالي" للحرب، حيث ما زالت هناك خلافات جوهرية حول من سيحكم غزة وما هو شكل القوة الأمنية، وهذا الملف رُحّل إلى المراحل التالية من الخطة، مما يبقي مستقبل غزة مفتوحاً وغير محسوم إسرائيلياً بشكل نهائي.. فيما المقاومة تربط أيّ حديث في هذا الأمر بقرار وطني فلسطيني، وآفاق الحلول للقضية الفلسطينية.

باختصار، يمكن النظر إلى المرحلة الأولى على أنها صفقة تبادل وإدخال المساعدات الإنسانية ووقف للنار مفتوح على إنهاء الحرب، حقق الهدف الإسرائيلي وهو عودة الأسرى، لكنه فشل في تحقيق الأهداف الاستراتيجية لـ "النصر المطلق" لنتنياهو، حيث لم يتمّ القضاء على المقاومة أو تدمير قدراتها بالكامل، وتمّت عودة الأسرى عبر التفاوض وليس من خلال القوة العسكرية المطلقة.. مما يشكل فشلاً لا لبس فيه لحرب الإبادة النازية الإسرائيلية، نتيجة الصمود الاسطوري للشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، بدعم من قوى محور المقاومة في لبنان واليمن والعراق وإيران، ومن الانتفاضة الشعبية العالمية وخصوصاً في دول الغرب، التي وضعت كيان الاحتلال "الإسرائيلي" في عزلة دولية غير مسبوقة، عكسها انسحاب معظم الوفود الدولية من قاعة الأمم المتحدة لحظة صعود نتنياهو الى المنصة لإلقاء خطابه.

سنتا طوفان وبراكين وزلازل... أبرز الخلاصات (٢)

ناصر قنديل

– كثيرة هي الفرضيات التي وضعت قيد الاختبار في هذه الحرب، فرضيات سكنت عقول الأميركيين والإسرائيليين وفرضيات آمن بها قادة المقاومة إلى درجة تحولها إلى مسلمات، أهمها على الضفة الأميركية الإسرائيلية فرضيتان، الأولى أن ما تم إعداده وتحضيره من قدرات تكنولوجية وعمليات استخبارية لجهة القدرة على تدمير مقدرات رئيسية لدى قوى المقاومة بما فيها مقدرات بشرية نوعية وصولاً إلى قتل القادة، وخصوصاً اغتيال السيدين حسن نصرالله وهاشم صفي الدين والقائدين يحيى السنوار ومحمد ضيف، بالإضافة إلى قادة سياسيين وميدانيين محوريين في بنية قوى المقاومة مثل القائد اسماعيل هنية وقادة قوة الرضوان في لبنان، سوف يتيح مع رفع كلفة الحرب على البيئة الحاضنة للمقاومة خصوصاً في لبنان وغزة، وفي ظل ضمان صمت عربي إسلامي مشفوع بالرضا عن إنجاز "إسرائيل" لمهمة تصفية قوى المقاومة، بالإضافة لما سوف يحققه إسقاط النظام في سورية، بما يترتب على هذا السقوط من تداعيات معنوية ومادية على قوى المقاومة، تشكل عناصر كافية لتصفية المقاومة وسحقها أو دفعها للاستسلام. وهذه الضربات التي أنفق عليها أميركياً وإسرائيلياً مال وفير وجهد كثير ووقت طويل تبدو غير قابلة للتكرار، وقد تبين سقوط هذه

الفرضيّة، بالرغم من حجم الأذى الذي لحق بقوى المقاومة، ذلك أن هذه القوى تمكنت من مواصلة حضورها وإعادة تجديد بنيتها والصمود والاستعداد لجولات لاحقة.

– الفرضية الأميركية الإسرائيلية الثانية التي تم اختبارها، وهي فرضية تم تأجيل اختبارها لعقود، حتى توافرت بنظر واشنطن وتل أبيب شروط نموذجية لتفعيلها، والمقصود الحرب على إيران، وقد ظهر أن ما تم إعداده لهذه الحرب أمنياً ولوجستياً وتكنولوجياً كبير جداً، وقد امتد لسنوات من التحضير واستند الى تداعيات مفترضة للضربات التي تلقتها قوى المقاومة، خصوصاً اغتيال السيد نصرالله وسقوط سورية، وكانت الأجوبة الافتراضية المتصلة بسيناريو الحرب تقوم على الاعتقاد بالقدرة على تعطيل قدرة الصواريخ الإيرانية وفعالية الدفاعات الجوية في التعامل معها، من جهة، وعلى حتمية انطلاق حراك شعبي وأمني وسياسي داخلي في إيران مع الضربات التي يتلقاها نظام الجمهورية الإسلامية في أيام الحرب الأولى بما يكفي لزعزعة الاستقرار وإطلاق ديناميكية تفتح طريق إسقاط النظام، أو على الأقل وضع اليد على جزء من الجغرافيا الإيرانية من قبل أطراف من المعارضة، وجاءت الوقائع التي حملتها الحرب تثبت فشل هذه الفرضية ورهاناتها بصورة مريعة، حيث ظهر تماسك الداخل الإيراني كورقة قوة إيرانية بمثل ما ظهر أن قدرة إيران على مواصلة إطلاق الصواريخ وإصابة أهداف موجعة لـ"إسرائيل" وتجاوز القبب الحديدية مخالف لكل التقديرات والحسابات.

– أظهرت الحرب لأميركا و"إسرائيل" وربما لبعض قوى المقاومة وجمهورها مفاجأة لم يتم التحسب لها كفاية، ولا وضعت الخطط لكيفية تحييد فعلها أو إخراجها من المعادلة، والمفاجأة هي اليمن، الذي ظهر قوة بحرية مقتدرة خارج إطار كل التوقعات، وقدرة تكنولوجية استثنائية، وبنية قتالية صلبة وبيئة شعبية واعية وملتزمة وحاضرة لتحمل التضحيات، وشكل صمود اليمن وثباته شعباً وقوات عسكرية وقيادة على خيار إقفال البحر الأحمر أمام الملاحة الإسرائيلية، والانتصار على البحرية الأميركية في منازلة استراتيجية تصلح للتدريس في كليات الحرب، بينما شكلت الصواريخ والطائرات المسيرة اليمنية مع القدرة على تظهير نسخ جديدة متطورة منها وأجيال متفوقة على الدفاعات الجوية الأميركية والاسرائيلية، سبباً في إفشال خطة الأميركيين والإسرائيليين في جعل الداخل الإسرائيلي بمنأى عن أثمان الحرب على غزة، وكان الفضل لليمن بثنائية مساهمته بحراً وجواً في تحريك جبهة داخلية إسرائيلية وصلت إلى إخراج مليون متظاهر يطلبون وقف الحرب، فشلت قضية الأسرى في إخراج ١٫١٠ منهم، بحيث صار استمرار الحرب على غزة سبباً في نزيف سياسي داخلي متعاظم داخل "إسرائيل".

– مقابل هذه الفرضيات الأميركية والإسرائيلية التي اختبرت وسقطت، وتصعب إعادة تصنيعها في مدى زمني قريب لتغيير نتائج الحرب، والمفاجأة التي مثلها اليمن وبقيت خارج الحسابات الأميركية الإسرائيلية والقدرة على تعطيلها، ثمة فرضيّات كان يؤمن بها قادة المقاومة ويبنون حساباتهم على أساسها جرى اختبارها، وثمة مفاجآت أظهرها الحلف الأمريكي الإسرائيلي غيّرت معادلات، ولم تكن في دائرة التوقعات، فرضية أولى تتصل بقدرة الردع، وفرضية ثانية تتصل بإمكانية خوض أميركا و"إسرائيل" حرباً بهذه الوحشية وعلى مدى سنتين متواصلتين، دون أن يتحرّك الوضع الدولي بحثاً عن تسوية ودون أن يتفاعل الوضع العربي والإسلامي حكومات وشعوباً، بصورة تفرض تغيير المشهد، وكانت المفاجأة الكبيرة لقوى المقاومة والتي لا تزال تفاصيلها أقرب الأحجية، وهي سقوط سورية، في الحلقة القادمة سوف نفحص الفرضيتين ونتحدّث عن المفاجأة.

لماذا انفجر الفلسطينيون في ٧ أكتوبر؟

من شراء الأراضي إلى حصار غزة... قرن من التراكمات التي فجّرت الغضب

رانيا كامل يونس

لحظة الانفجار التي لم تأتِ من فراغ، فجر ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، اجتاحت النيران حدود غزة نحو الداخل "الإسرائيلي"، معلنةً واحدة من أكثر العمليات المفاجئة في تاريخ الصراع الفلسطيني ـ "الإسرائيلي".

لكن هذا الانفجار، وإنْ بدا مفاجئاً للعالم، لم يكن وليد لحظة، بل حصيلة قرنٍ كامل من التراكمات والخذلان والاغتصاب التدريجي للأرض والهوية.

منذ بدايات القرن العشرين، عندما

بدأ المشروع الصهيوني بشراء الأراضي الفلسطينية بأساليب مريبة، وحتى حصار غزة في القرن الحادي والعشرين، ظلّ الفلسطيني يعيش انكماش وطنه وانكماش الأمل في آن واحد.

١ ـ البدايات: شراء الأرض باسم "العودة" وسرقة الوطن باسم "الحق"

في أواخر القرن التاسع عشر، انطلقت الحركة الصهيونية من أوروبا بدعم غربي، رافعة شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

أنشأ الصندوق القومي اليهودي والوكالة اليهودية آليات مالية لشراء الأراضي الفلسطينية عبر وسطاء عرب وأجانب، غالباً بأساليب ضغط أو خداع قانوني، في ظلّ ضعف الدولة العثمانية وفساد إداري سهّل التسلل العقاري.

عام ١٩١٧، جاء وعد بلفور ليمنح الغطاء السياسي لهذا المشروع حين وعدت بريطانيا بإنشاء "وطن قومي لليهود في فلسطين"، متجاهلة وجود أهلها الأصليين.

تلك المرحلة لم تكن مجرد "شراء أراضٍ"، بل بداية انتزاع هوية وطنية من سكانه، وتهيئة الأرض لمشروع استعماري طويل المدى.

فما بدا "قانونياً" كان في جوهره عملية استيلاء ممنهجة ومريبة.

فالصهاينة استغلوا غياب الوعي القانوني لدى الفلاحين الفلسطينيين وضعف الوضع الاقتصادي العام، واشتروا مساحات من الأراضي ليس من أصحابها الحقيقيين بل من إقطاعيين لبنانيين وسوريين كانوا يملكونها بـ "السند العثماني"، بينما يعيش فيها الفلسطينيون أجيالاً كمزارعين مستأجرين.

وحين اكتشف الأهالي ما يجري، كانت القوانين الجديدة التي فرضها الانتداب البريطاني قد سهّلت انتقال الملكية لليهود، وبدأت عمليات الطرد الجماعي للفلاحين الفلسطينيين من أراضيهم الخصبة في مرج ابن عامر والجليل والساحل.

كانت تلك العمليات في ظاهرها صفقات تجارية، لكنها في حقيقتها هندسة ديموغرافية مبكرة تهدف لتغيير هوية الأرض.

فقد شُجّع المهاجرون اليهود القادمون من أوروبا الشرقية على إقامة المستعمرات الزراعية المحصّنة، فيما مُنع الفلسطينيون من العودة إلى أراضيهم أو تسجيل ملكياتهم مجدداً.

لقد كانت تلك البداية التي فتحت الباب أمام ما سيصبح لاحقاً أكبر عملية تطهير عرقي في القرن العشرين في المنطقة.

٢ ـ من الانتداب إلى النكبة: الدم بدل المفاوضات

مع فرض الانتداب البريطاني (١٩٢٠–١٩٤٨)، بدأت التوترات بين العرب واليهود تتصاعد.

وقعت سلسلة مجازر مروّعة تركت أثراً عميقاً في الوعي الفلسطيني، مثل:

ـ مجزرة دير ياسين (١٩٤٨) التي قُتل فيها أكثر من ٢٥٠ فلسطينياً بدم بارد.

ـ مجزرة الطنطورا، واللد، والرملة وغيرها التي رافقت قيام الكيان الإسرائيلي .

وفي النكبة عام ١٩٤٨، هجّر أكثر من ٧٥٠ ألف فلسطيني من قراهم ومدنهم، ودمّرت أكثر من ٤٠٠ قرية بالكامل.

ولد الكيان الصهيوني على جثث وأطلال وطن أُجبر سكانه على الرحيل نحو المجهول.

منذ تلك اللحظة، أصبحت كلمة "عودة" مرادفاً للحياة في الوجدان الفلسطيني، بينما تحوّلت الخيمة إلى رمزٍ للمنفى الدائم.

٣ ـ الاحتلال بعد ١٩٦٧: ضياع الأرض للمرة الثانية

في حرب ١٩٦٧، احتلت "إسرائيل" ما تبقى من فلسطين التاريخية (الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية)، وبدأ فصل جديد من الاحتلال العسكري الكامل.

لكن الأخطر لم يكن فقط الاحتلال العسكري، بل الاستيطان المنهجي الذي تلاه.

فمنذ نهاية الستينات وحتى اليوم، أقيمت أكثر من ٢٥٥ مستوطنة في الضفة الغربية، يسكنها اليوم نحو ٧٥٠ ألف مستوطن.

رافق ذلك مصادرة ممنهجة للأراضي، وهدم للمنازل، وفرض للحواجز العسكرية، وعزل للقرى.

في المقابل، وُلدت المقاومة الفلسطينية المسلحة كصوتٍ يعكس عجز المجتمع الدولي وتجاهل قرارات الأمم المتحدة.

٤ ـ أوسلو.. سلام مؤجّل وحلم مكسور

في اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، ظنّ الفلسطينيون أنّ الدولة على الأبواب.

لكن، تحوّل الحلم إلى سراب سياسي.

وسّع الكيان الإسرائيلي الاستيطان بدل أن يجمّده، واستمرّت الاعتقالات والاجتياحات، فيما انقسم البيت الفلسطيني بين غزة والضفة.

تآكلت ثقة الناس في العملية السياسية، وبدأت المقاومة تُستعاد كخيار اضطراري في مواجهة طريق مسدود.

٥ ـ غزة: سجن مفتوح منذ ٢٠٠٧

بعد فوز حركة حماس بالانتخابات وسيطرتها على غزة، فرض كيان الاحتلال حصاراً خانقاً على القطاع.

أُغلقت المعابر، مُنع التصدير والاستيراد، انهار الاقتصاد، وتراجعت الخدمات الأساسية.

يعيش أكثر من مليوني فلسطيني في مساحة لا تتجاوز ٣٦٥ كيلومتراً مربعاً، بمعدل بطالة يتخطى ٤٥٪.

تكررت الحروب على غزة (٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤، ٢٠٢١)، وكلّ مرة تُدمّر البنى التحتية ثم تُترك كما هي.

لم يعد الحصار مجرد سياسة أمنية، بل آلة خنق جماعي تُنتج الإحباط واليأس، وتزرع قناعة لدى جيل كامل بأنّ الموت في المواجهة أكرم من الحياة في الحصار.

٦ ـ السنوات الأخيرة: القدس الشرارة الدائمة

من اقتحامات المسجد الأقصى إلى محاولات تهجير أهالي الشيخ جراح، أصبحت القدس رمزاً مستمراً للإهانة بالنسبة للفلسطينيين .

كلّ اقتحام، كلّ رفع للعلم الإسرائيلي في باحات المسجد، يُعتبر طعنة في الوجدان الديني والقومي.

ولذلك فإنّ الأحداث بين ٢٠٢١ و٢٠٢٣ أعادت توحيد المشاعر الفلسطينية من غزة إلى الضفة وحتى الشتات.

٧ ـ السابع من أكتوبر: حين انفجرت المعادلة

في لحظةٍ غير متوقعة، قرّرت المقاومة في غزة قلب الطاولة.

عملية "طوفان الأقصى" لم تكن فقط هجوماً عسكرياً، بل صرخة متأخرة باسم قرنٍ من القهر.

انفجر الغضب المتراكم: الأرض المسروقة، اللاجئون المنسيون، الحصار المستمر، والأفق السياسي المسدود.

ورغم الكلفة الإنسانية الفادحة التي تلت ذلك، فإنّ الحدث كشف حقيقة أنّ القضية الفلسطينية لم تمت، بل كانت تغلي تحت الرماد، تنتظر فقط الشرارة الأخيرة.

٨ ـ النتائج الإنسانية والسياسية

ردّ الكيان الإسرائيلي بأعنف هجوم في تاريخه على غزة، خلّف عشرات آلاف الشهداء والجرحى، ودمّر أحياءً بأكملها.

لكن، رغم المأساة، تغيّر المشهد الدولي:

عاد الحديث عن القضية الفلسطينية إلى الواجهة العالمية.

تصاعدت الدعوات لإقامة دولة فلسطينية حقيقية.

وبدأت بعض القوى الدولية تُدرك أن تجاهل الجذور التاريخية للصراع هو الطريق الأسرع نحو تكرار الانفجارات.

٩ ـ خلاصة تحليلية

ما حدث في ٧ أكتوبر هو نتيجة حتمية لمسار تاريخي طويل من الظلم المنهجي:

١ ـ مشروع استيطاني تأسّس على نفي الآخر.

٢ ـ تهجير جماعي ونكبات متلاحقة.

٣ ـ احتلال عسكري واستيطان بلا توقف.

٤ ـ حصار اقتصادي وسياسي خانق.

٥ ـ انسداد كامل في الأفق السياسي.

عندما تُغلق كل الأبواب أمام الإنسان، يصبح الانفجار مسألة وقت لا خيار.

خاتمة

لم يكن ٧ أكتوبر مجرد هجوم عسكري، بل تاريخاً انفجر دفعة واحدة.

هو صرخة من تحت الركام، من تحت قرنٍ من الإنكار والخذلان.

ربما تختلف الآراء حول الوسائل، لكن لا خلاف على أنّ كلّ من يزرع القهر، سيحصد الانفجار.

ولعلّ هذا اليوم يعيد إلى العالم إدراك الحقيقة التي حاول نسيانها:

أنّ الأرض لا تُشترى بالمال، ولا تُنسى بالحصار، ولا تُطفأ بالدم.